

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة القيامة مكية

لَرَأَيْتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُتَحَيِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ  
الْبَيْئَةُ ﴿١﴾

كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب وعبدة الأصنام يقولون قبل مبعث النبي ﷺ: لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث النبي الموعود الذي هو مكتوب في التوراة والإنجيل وهو محمد ﷺ. فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال: ﴿وما تفرق الذين أوتوا الكتاب﴾ (١) يعني: أنهم كانوا يعنون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق إذا جاءهم الرسول، ثم ما فرقتهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر إلا مجيء الرسول ﷺ. ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه: لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى، فيرزقه الله الغنى، فيزيد فسقاً، فيقول واعظه: لم تكن منفكاً عن الفسق حتى توسر، وما غمست رأسك في الفسق إلا بعد اليسار، ينكره ما كان يقوله توبيخاً وإلزاماً. وانفكك الشيء من الشيء أن يزياله بعد التحامه به كالعظم إذا انفك من مفصله، والمعنى: أنهم متشبثون بدينهم لا يتركونه إلا عند مجيء البينة. و﴿البينة﴾ الحجة الواضحة.

رَسُولًا مِنْ اللَّهِ يَأْتُوا صُفًّا مُطَهَّرَةً ﴿٢﴾

﴿رسول﴾ بدل من البينة. وفي قراءة عبد الله رسولاً حالاً من البينة. ﴿صحفا﴾ قراطيس، ﴿مطهرة﴾ من الباطل.

فِيهَا كُتِبَ قِيمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيْئَةُ ﴿٤﴾

﴿فيها كتب﴾ مكتوبات ﴿قيمة﴾ مستقيمة ناطقة بالحق والعدل. والمراد بتفرقتهم تفرقتهم عن الحق وانقشاعهم عنه، أو تفرقتهم فرقاً فمنهم من آمن ومنهم من انكر. وقال: ليس به ومنهم من عرف وعاند.

فَإِنْ قُلْتُمْ: لِمَ جُمِعَ بَيْنَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ أَوَّلًا؟ ثُمَّ أَفْرَدَ أَهْلَ الْكِتَابِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ؟﴾ قُلْتُمْ: لِأَنَّهُمْ كَانُوا عَلَى عِلْمٍ بِهِ لَوْجُودِهِ فِي كُتُبِهِمْ فِإِذَا وَصَفُوا بِالتَّفَرُّقِ عَنْهُ كَانَ مِنْ لَا كِتَابٍ لَهُ أَنْخَلُ فِي هَذَا الوصف.

وَمَا أُرْسِلُوا إِلَّا لِيُعَذَّبُوا اللَّهُ عُذْبًا لَهُ الَّذِينَ حَقَّقَهُ وَيُؤْمِنُوا بِالصَّلَاةِ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ مِنْ بَيْنِ النَّبِيِّينَ ﴿٥﴾

﴿وما أمروا﴾ يعني: في التوراة والإنجيل إلا بالدين الحنيفي ولكنهم حرقوا وبيدوا ﴿وذلك بين القيمة﴾ أي: دين الملة القيمة. وقرئ: وذلك الدين القيمة على تاوليل الدين بالملة.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي تَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾

فَإِنْ قُلْتُمْ: مَا وَجْهُ قَوْلِهِ: وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهُ؟ قُلْتُمْ: معناه. وما أمروا بما في الكتابين إلا لأجل أن يعبدوا الله على هذه الصفة.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾

وقرأ ابن مسعود: إلا أن يعبدوا. بمعنى بأن يعبدوا. قرأ نافع البرية بالهمز والقراء على التخفيف. والنبي والبرية مما استمر الاستعمال على تخفيفه ورفض الأصل. وقرئ: خيار البرية جمع خير كجيد وطيب في جمع جيد وطيب. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ لم يكن كان يوم القيامة مع خير البرية مساءً ومقيلاً» (٢).

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة الزلزلة مختلف فيها

إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾

﴿زلزالها﴾ قرئ: بكسر الزاي وفتحها، فالمكسور مصدر، والمفتوح اسم. وليس في الأبنية فعلاً بالفتح إلا في المضاعف.

فَإِنْ قُلْتُمْ: مَا مَعْنَى زِلْزَالَهَا بِالإِضَافَةِ؟ قُلْتُمْ: مَعْنَاهُ زَلْزَالَهَا الَّذِي تَسْتَوْجِبُهُ فِي الْحِكْمَةِ وَمَشِيئَةِ اللَّهِ وَهُوَ الزَّلْزَالُ الشَّدِيدُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ. وَنَحْوُهُ قَوْلُكَ: أَكْرَمَ التَّقَى إِكْرَامَهُ، وَأَهْنُ الْفَاسِقِ إِهَانَتَهُ. تَرِيدُ مَا يَسْتَوْجِبَانِهِ مِنَ الْإِكْرَامِ وَالْإِهَانَةِ. أَوْ زِلْزَالَهَا كُلُّهُ وَجَمِيعُ مَا هُوَ مُمْكِنٌ مِنْهُ.

وَأَنْزَجَتِ الْأَرْضُ أَنْفَالَهَا ﴿٢﴾

الأنقال: جمع ثقل وهو متاع البيت، وتحمل أثقالكم جعل ما في جوفها من اللقائن أثقالاً لها.

وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا مَآءٌ ﴿٣﴾

﴿وقال الإنسان ما لها﴾ زلزلت هذه الزلزلة الشديدة ولفظت ما في بطنها، وذلك عند النفخة الثانية حين تزلزل وتلفظ أمواتها أحياء فيقولون ذلك لما يبهرهم من الأمر الفظيع. كما يقولون: من بعثنا من مرقدنا؟ وقيل: هذا قول الكافر لأنه كان لا يؤمن بالبعث، فأما المؤمن فيقول: ﴿هذا

ما وعد الرحمن وصنق المرسلون ﴿٦﴾.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** ما معنى تحديث الأرض والإحياء لها؟ **قُلْتُمْ:** هو مجاز عن إحداث الله تعالى فيها من الأحوال ما يقوم مقام التحديث بالنسيان حتى ينظر من يقول: ما لها؟ إلى تلك الأحوال فيعلم لم زلزلت ولم لفظت الأموات، وإن هذا ما كانت الأنبياء يندرونه ويحذرون منه. وقيل: ينطقها الله على الحقيقة وتخبر بما عمل عليها من خير وشر. وروي عن رسول الله ﷺ تشهد على كل أحد بما عمل على ظهرها<sup>(1)</sup>.

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** إذا ويومئذٍ ناصبهما! **قُلْتُمْ** يومئذٍ بدل من إذا وناصبهما تحدث، ويجوز أن ينتصب إذا بمضمر ويومئذٍ بتحدث.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** أين مفعولا تحدث؟ **قُلْتُمْ:** قد حذف أولهما، والثاني إخبارها، وأصله: تحدث الخلق أخبارها، إلا أن المقصود نكر تحديثها الأخبار لا نكر الخلق تعظيماً لليوم.

بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا ﴿٥﴾.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** بم تعلق الباء في قوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَى لَهَا﴾؟ **قُلْتُمْ:** بتحدث معناه تحدث أخبارها بسبب إحياء ربك لها وأمره إياها بالتحديث. ويجوز أن يكون المعنى: يومئذٍ تحدث بتحديث أن ربك أوحى لها أخبارها على أن تحديثها بأن ربك أوحى لها تحديث بأخبارها. كما تقول: نصحتني كل نصيحة بأن نصحتني في الدين. ويجوز أن يكون بأن ربك بدلاً من أخبارها. كأنه قيل: يومئذٍ تحدث بأخبارها بأن ربك أوحى لها، لأنك تقول: حدثته كذا وحدثته بكذا. و﴿أوحى لها﴾ بمعنى: أوحى إليها، وهو مجاز كقوله: أن نقول له كن فيكون. قال: أوحى لها القرار فاستقرت. وقرأ ابن مسعود: تنبئ أخبارها. وسعيد بن جبير: تنبئ بالتخفيف. يصدر عن مخارجهم من القبور إلى الموقف.

يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾.

**﴿أَشْتَاتًا﴾** بيض الوجوه آمنين، وسود الوجوه فزعين أو يصدر عن الموقف أشتاتاً يتفرق بهم طريقاً الجنة والنار ليروا جزاء أعمالهم. وفي قراءة النبي ﷺ ليروا بالفتح. وقرأ ابن عباس وزيد بن علي يره بالضم.

فَمَنْ يَمْلِكُ يَتَّقَالَ دَرُؤَ حَيْرًا يَرُؤُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَمْلِكُ يَتَّقَالَ دَرُؤَ شَرًّا يَرُؤُ ﴿٨﴾.

ويحكي أن أعرابياً أخر خيراً يره. فقيل له: قدمت وأخرت. فقال:

خذا بطن هرشي أفاها فإنه كلا جانبي هرشي لهن طريق

والذرة، النملة الصغيرة، وقيل: الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء.

**فَإِنْ قُلْتُمْ:** حسنات الكافر محبطة بالكفر<sup>(2)</sup>، وسيئات المؤمن معفوة باجتنب الكبائر، فما معنى الجزاء بمثاقيل الذر من الخير والشر! **قُلْتُمْ:** المعنى فمن يعمل مثقال ذرة خيراً من فريق السعداء، ومن يعمل مثقال ذرة شراً من فريق الأشقياء. لأنه جاء بعد قوله: يصدر الناس أشتاتاً، عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة إذا زلزلت أربع مرات كان كمن قرأ القرآن كله»<sup>(3)</sup>.

## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### سورة العاديات مختلف فيها

وَأَلْمَدِيَّتِ صَبِيحًا ﴿١﴾.

اقسم بخيل الغزاة تعدو فتضبح. والضبح: صوت انفاسها<sup>(4)</sup> إذا عدون. وعن ابن عباس أنه حكاه فقال: أح

(1) أخرجه الترمذي في كتاب: تفسير القرآن، باب: ومن سورة ﴿إذا زلزلت الأرض﴾ (الحديث رقم: 3353) وأخرجه ابن حبان في كتاب: إخباره ﷺ عن مناقب الصحابة، باب: إخباره ﷺ عن البعث وأحوال الناس، (الحديث رقم: 7360) وأخرجه الحاكم في المستدرک 2/532.

(2) قال أحمد: السؤال المعني على قاعدتين إحداهما: أن حسنات الكافر محبطة بالكفر وهذه فيها نظر، فإن حسنات الكافر محبطة، أي: لا يثاب عليها ولا ينعم، وأما تخفيف العذاب بسببها فغير منكور، فقد وردت به الأحاديث الصحيحة، وقد ورد أن حاتمًا يخفف الله عنه لكرمه ومعروفه، ورد ذلك في حق غيره كأبي طالب أيضاً، فحينئذٍ لحسنات الكافر أثر ما في تخفيف العذاب، فيمكن أن يكون المرثي هو ذلك الأثر، والله أعلم. وأما القاعدة الثانية: وهي القول بأن اجتنب الكبائر يوجب تمحيص الصفات ويكفرها عن الزمن، فمرود عند أهل السنة فإن الصفات عندهم حكما في التكفير

(3) أخرجه الثعلبي من حديث علي بإسناد أهل البيت، وله شاهد من حديث أنس مرفوعاً، نكره ابن كثير في تفسيره: 8/480. والخطيب في تاريخه 11/380.

(4) قال أحمد: ولم ينكر حكمة الإتيان بالفعل معطوفاً على الاسم فنقول: إنما عطف اثرن على الاسم الذي هو العاديات وما بعده؛ لأنها أسماء فاعلين تعطي معنى الفعل وحكمة مجيء هذا المعطوف فعلاً عن اسم فاعل تصوير هذه الأفعال في النفس، فإن التصوير يحصل بإيراد الفعل بعد الاسم لما بينهما من التخالف، وهو أبلغ من التصوير بالأسماء المتناسقة، وكذلك التصوير